﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النّمل: 87]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تَعْميمُ الخَلْقِ بِالمَوْتِ والإحْياءِ كَما عَمَّهُمْ بِالنَّوْمِ والإيقاظِ

لمّا ذكر اللّهُ تَعالى آياتِهِ في اللَّيلِ والنَّهارِ سكنًا وضياءً، ودليلًا عَلى وحْدانيَّتِهِ سُبحانَهُ وإمكانِ البعث بالإشارةِ إلى البَعْثِ مِنَ النَّوم؛ أعقبه ببيانِ الحَشْرِ العامِّ؛ تنبيهًا إلى أنَّه يَعُمُّهم بالموتِ كما عَمَّهم بالنَّوم، ويَعُمُّهم بالإحياء كما عَمَّهم بالإيقاظِ[1]، فقال سُبْحانَه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُبَيِّنًا أوَّل أحوالِ البَعْثِ بالنَّفخ في الصّور.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُنفَخُ﴾: (نفخ) يدلُّ على مَلْءِ شيء بالهواء[2]، فيمتلئ، ويَعْلو، على ما هو معروفٌ مِنَ النَّفخ، وأُطْلِقَ على مطلق الامتلاء، فيقال: انتَفَخَ النَّهار؛ إذا عَلا، والمَنْفوخُ: الرَّجل السَّمين[3]، والرَّجل المُنْتَفِخ: المتكبِّر، وأُطْلِقَ أيضًا على أثَرِ النَّفخ، أي: ما يصدر عنه مِن صَوْتٍ، قال اللّهُ تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الزّمر: 68].

ومعنى ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: صوِّت فيهِ، والصّورُ: القَرْنُ الذي وكَّل اللّهُ تعالى بهِ إسرافيلَ عليه السلام[4].

2) ﴿ٱلصُّورِ﴾: (صور) تدلُّ تصريفاتُها على مَعْنى المَيْل، يقال: فلانٌ يصورُ عُنُقَه إلى كذا، أي: يُميلُ بعُنُقه ووَجْهِهِ نحوَه، والنَّعت مِنْهُ: أصْوَرُ، والمصدرُ: الصَّوَر، أي: الإمالة[5]، وصَوِرَ: مالَ واعوجَّ، والصّور

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 222.
(2) الرّاغب، المفردات: (نفخ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نفخ).
(4) حافظ حكمي، معارج القبول: 2/ 799.
(5) الخليل، العين: (صور).

القرن يُنْفَخُ فيه[1]؛ لأنَّه معوجٌّ عادة، قال الله سُبحانَهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾ [الكهف: 99][2]، وهو البوق بلُغَة أهل اليمن[3].

ومعنى ﴿ٱلصُّورِ﴾ في الآية: قَرْنٌ مِن نور كهَيْئَةِ البوقِ يَنفُخُ فيهِ إسرافيلُ[4].

3) ﴿فَفَزِعَ﴾: (فزع) تدور اشْتِقاقاتُها على الفَرَق والخوف، وحقيقتُهُ: انقباضٌ ونِفارٌ يعتري الإنسانَ من الشَّيء المخيف، قال الله تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: 103][5]، والمفزَع الملجأ، والإفْزاع الإغاثة، وتقول: فزعتُ إليهِ؛ إذا لجأتَ، واستغَثْتَ؛ لأنَّه يزيل الفَزَع، ويَكْشِفُ الخوف[6]، وأُطلِق الفزَعُ على النَّفير؛ لشدَّة الخوف، فيفزع النّائم، فيستيقظ، ويفزع الخائف، فيهرب، ومعنى ﴿فَفَزِعَ﴾ هنا: ذُعِرَ، وتحرَّك خوفًا وهلعًا[7].

4) ﴿دَٰخِرِينَ﴾: (دخر) أصلٌ يدلُّ على الذِّلَّة والصَّغار[8]، وهو أن يَفْعَل المرءُ ما يُؤْمرُ بهِ كرهًا على صِغَرٍ ودُخور[9]، قال اللّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: 60] أي: أذلَّة[10]، ومعنى ﴿وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾: جاؤوهُ خاضعينَ صاغِرين[11].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

واذكر - أيُّها النَّبيُّ الكريم - يوم يَنفُخُ إسرافيلُ في القَرْنِ، فيفزَعُ

ذِكْـرُ الـفَـزَعِ والصَّغارِ لِنِداءِ اللهِ الجَبّارِ

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (صور).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صور).
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 239.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 239.
(5) الرّاغب، المفردات: (فزع).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (فزع).
(7) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 241.
(8) الجوهريّ، الصّحاح: (دخر).
(9) الخليل، العين: (دخر).
(10) الرّاغب، المفردات: (دخر).
(11) إبراهيم الحربيّ، كتاب غريب الحديث: 2/ 677.

مَن في السَّماوات ومَن في الأرض فَزَعًا شديدًا من هَوْلِ هذه النَّفْخَة، إلّا مَن استثناهُ اللّهُ سُبْحانَه ممَّن أكرَمَهُ، وحَفِظَهُ منَ الفَزَع، وكلُّ المخلوقات يأتون إلى ربِّهم صاغِرينَ خاضِعين مُطيعينَ[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### عِلَّةُ وصْلِ الجُمْلَةِ بِما قَبْلَها:

ذِكْـرُ شَيْءٍ مِنْ أَحْـوالِ الآخِـرَةِ العِظامِ

عُطِفَ قولُ اللّه تَعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ على قولِه قبلُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؛ لِما بَيْنَهُما منَ التَّوسُّط بين الكمالين، وذلك لاشتراكِ الجُمْلَتَيْنِ في الخبريَّة، ووجودِ الجامع بينَهما وهو ذِكْرُ حوادثِ الآخرة، مع ما في الجملتينِ مِن محسِّنٍ لفظي لهذا الوصلِ، وهو اشتراكُهُما في الظَّرف، وهو لفظ (يَوْم).

وفي هذا العطفِ تسجيلٌ على المكذِّبين، بإثباتِ وقوعِ البَعْثِ، وإنذارٌ بما يَعْقُبُ النَّفخ من مجيء الجميعِ إلى ربِّهم داخِرين[2].

### دِلالَةُ الإيجازِ في قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ﴾:

التَّرْهِـيبُ مِـنْ أَهْـوالِ الآخِـرَةِ؛ لِـلـحَـثِّ عَـلى الإعْدادِ لَها

في قول اللّهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إيجازٌ بالحَذْفِ، وذلك أنَّ ثمَّة فعلًا محذوفًا، والتَّقدير: (واذْكُر يومَ يُنفخ في الصّور، أو ذَكِّرهم يوم يُنفَخُ في الصّور)[3].

والآية مسوقة لقَصْدِ التَّنبيه ممّا سيقعُ في الآخرةِ مِن أهوالٍ؛ تَرْهيبًا مِن هَوْلِها، وحثًّا على الإعدادِ لها، وتوبيخًا وتقريعًا للمُعْرِضين عنِ الحقِّ.

ويجوز أن يكون لفظُ (يوم) في الآية ظرفًا منصوبًا لعامل محذوفٍ دلَّ عليه ما بعده، أي: يستجيبون للنِّداء يوم يُنْفَخُ في

(1) مجموعة من المؤلِّفين، المنتخب، ص: 573، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 45.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 239.

الصّور، وقُدِّم الظَّرف للاهتمام به، وهو أسلوبٌ بديع في القرآن؛ إذْ يَحْصُل به من التَّشويق إلى وصفِ هذا اليوم لِما فيه من التَّهويل[1].

**دِلالَةُ بِناءِ الفِعْلِ ﴿يُنفَخُ﴾ لِما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ:**

بَيانُ هَوْلِ النَّفْخِ وعَظَمَتِهِ

بُنِي الفعلُ ﴿يُنفَخُ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه، مِن قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ لقصد الاهتمام بالنفخ في ذاته، والإشارة إلى عظمته، بقطع النَّظر عن النّافخ، وفي بناء الفعل لما لم يُسمَّ فاعله أيضًا الإيماء إلى أنَّ هذا النَّفخ حاصل بأيسر أمر منه سبحانه[2].

هذا وقد اخْتُلِف في معنى النَّفخ في الصّور، فذهب الجماهيرُ إلى أنَّه نفخٌ حقيقيٌّ، وهو الأصحُّ المتعيِّنُ المصيرُ إليه، وذهبت طائفةٌ إلى أنَّ ذلك استعارَةٌ تمثيليَّةٌ، وقد عقَّب الآلوسيُّ على هذا قائلًا: "وجَعْلُ الكلام من باب الاستعارةِ التَّمثيليَّة، فيه إنكارٌ لِوُجود صورٍ حقيقيٍّ يُنْفَخُ فيه، وذلك مُخالِفٌ لِما نطقَتْ بِهِ الأحاديثُ الصِّحاحُ"[3].

**دِلالَةُ (أل) في لَفْظِ ﴿ٱلصُّورِ﴾:**

الإيماءُ إلى شِدَّةِ الفَزَعِ النّاشِئِ عَنِ النَّفْخِ في الصّورِ

جاء لفظ ﴿ٱلصُّورِ﴾ مُعرّفًا باللّام، في قول اللّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وهي لامُ العهدِ العِلْميِّ؛ لِما يكونُ قَد تقرَّر عند المُخاطَبين مِن تقدُّم العلم به، فإذا ذُكِر؛ اسْتَحْضَر المتلقّي مشهدَ الصَّوت الشَّديد المؤدّي إلى الفَزَع العامِّ.

ويجوزُ أَن تكونَ اللّام دالَّةً على الكمال، بحيثُ إذا ذُكِر الصّور معَ النَّفخ؛ فلا صورَ إلّا الصّور الكاملُ الذي يكون في الآخرَةِ، ولا نَفْخَ إلّا هذا النَّفْخُ الشَّديد العظيمُ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 252.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 7/ 154.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 20/ 30، ومجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 7/ 722.

ولا تَنافيَ بينَ الدِّلالتَيْنِ، بَل إحْداهُما تُؤَيِّد الأخرى، وتُقَوّيها، فَهو صورٌ كامِلٌ عظيمٌ، وقَد عُهِدَت معرِفَتُه لَدى المُخاطَبينَ.

### دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿فَفَزِعَ﴾:

تَحَقُّقُ وُقوعِ الفَزَعِ عِنْدَ النَّفْخِ في الصّورِ

عُبِّرَ عن الفَزَعِ بالفِعْلِ الماضي ﴿فَفَزِعَ﴾، مِنْ قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، مع أنَّ الفزع يحصلُ في المستقبَلِ؛ وذلك للإشعار بتحقُّق وقوعِه، وأنَّه كائنٌ - لا محالة[1] - كأنَّه إخبارٌ بحدثٍ ماضٍ وقَعَ، وانْتَهى، فصيغَةُ الماضي كنايَةٌ عن التَّحقُّق، وقرينة الاستقبال ظاهرةٌ مِنَ المُضارعِ في قوله: ﴿يُنفَخُ﴾[2]، وممّا تقرَّر من أنَّ النَّفخ إنَّما هو من أحوالِ الآخِرَةِ وأَحْداثِها.

### سِرُّ التَّعْبيرِ بِالفَزَعِ هَهُنا دونَ الصَّعْقِ:

النَّفْخُ في الصّورِ مُتَعَدِّدَةٌ آثارُهُ

عبَّر البيان القرآنيُّ عن أثر النَّفخ في الصّور بالفزع، في قول اللّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، بخلاف الوارد في سورة الزُّمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزّمر: 68]؛ وذلك للتَّمييز بين النَّفختين، فالمذكور في سورة الزُّمر نفخةٌ يَصْعَقُ الخلق بها، فيَموتونَ للسّاعة، والمذكور في سورة النَّمل نفخَةٌ يَفْزَعُ الخلقُ بها.

### نُكْتَةُ تَأْخيرِ ذِكْرِ النَّفخِ عَنْ ذِكْرِ الحَشْرِ:

تَجْديدُ التَّهْويلِ بِذِكْرِ الوَقائِعِ الجِسامِ

وردَ ذكْرُ النَّفخ في الصّور وما يقعُ حينها بعد ذِكْرِ حَشْر المكذِّبين مِن كلِّ أمَّة، مع أنَّ النَّفخ يكون قبلَ الحشر، ونكتةُ هذا التَّأخير: هي تثنيةُ التَّهويل بتَكْرير التَّذكير؛ إيذانًا بأنَّ كلَّ واحدةٍ مِنْهُما طامَّة كُبْرى، وداهية دَهْياء، حقيقةٌ بالتَّذكير على حيالها، ولو جاء ذِكْرُ الحشْرِ بعد النَّفْخِ على ما هو ترتيبُ الوقوعِ؛ لتُوُهِّمَ أنَّ الجميعَ داهيَةٌ واحِدَةٌ[3].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 272.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 46.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 303 - 304.

### مَعْنى ﴿مَن﴾ ودِلالَتُها:

شِدَّةُ الفَزَعِ وعُمومُهُ جميع الخلق

جاء التَّعبير في الآية الكريمة عمَّن يقع مِنْهُ الفزع يوم ينفخ في الصور بـ ﴿مَن﴾، وهو اسمٌ موصول، فقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ للدَّلالة على العموم؛ لأنَّ الاسم الموصول دالٌّ على ذلك، وهذا يقتضي شدَّة هذا الخوف وقوَّة هذا الفزع حيث عمَّ كلَّ مَنْ في السماوات ومن في الأرض[1]، ويقوّي دلالة ﴿مَن﴾ على العموم ورودُ الاستثناء بعده؛ إذ إنَّ الاستثناء معيارُ العموم.

### دِلالَةُ تَكْرارِ المَوْصولِ (مَنْ):

الإطْنابُ لِزيادَةِ التَّهْويلِ وبَيانِ أَنَّ الحُكْمَ لِلجَميعِ

تكرَّر الاسمُ الموصولُ (مَنْ)، في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾، فذُكِر مرَّةً أخرى لأهل الأرض بعدَ ذِكْرِه معَ أهل السَّماء، وهذا التَّكرار هو باب الإطناب؛ لأنَّ السّياق يقتضيه، والغرَضُ من هذا الإطنابِ التَّهويل والتَّفظيع[2]، فهو نَفْخٌ يَفْزَعُ معَهُ أهلُ السَّماوات جميعًا، وأهلُ الأرض جميعًا، فلا يُفَوِّتُ أحدًا.

### سِرُّ تَقْديمِ أَهْلِ السَّماواتِ عَلى أَهْلِ الأَرْضِ:

فَزَعُ أَهْلِ السَّماواتِ دَليلٌ عَلى فَزَعِ أَهْلِ الأَرْضِ بِطَريقِ الأَوْلَوِيَّةِ

جاء في قولِ اللهِ تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تقديمُ ذِكْرِ السَّماوات ومَن فيهنَّ، على الأرضِ ومَن فيهنَّ، ويَرْجِعُ سِرُّ ذلكَ إلى شدَّة النَّفخ في الصّور، وهول الفزَعِ به، فإذا كان أهل السَّماوات قد فَزِعوا لهذا الصّوت؛ فأهلُ الأرضِ مِنْ بابٍ أَوْلى وأَحْرى؛ وذلك لِضآلة خلق الأرضِ وأهلها مقارنةً بالسَّماوات وأهلها، فجاء تقديمُ ذِكْرِ مَن في السَّماوات؛ ليتعاظَم الفزَعُ الَّذي سَيُصيبُ مَن في الأرض، وفي ذلك مزيدُ تهويلٍ.

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10856.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 222.

### دِلالَةُ إسْنادِ المَشيئَةِ إلَى الاسْمِ الأَحْسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

لا عاصِمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ تَعالى إلّا مَنْ شاءَ

أُسنِد فعلُ المَشيئَة في قولِه سُبْحانه: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلى الاسم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهُ﴾؛ للإيماءِ إلى عظمَةِ هذهِ المَشيئَةِ لِكَوْنِها صادِرَةً مِمَّن لهُ جميعُ صِفاتِ الكمالِ والجلالِ والجمال، فاسْتِثْناءُ مَن شاءَ اللّهُ سُبْحانَهُ مِن هذا الفزَعِ الكبيرِ والخَوف الشَّديد حاصل بنافذِ مَشيئَتِه وعظيمِ قُدْرَتِه وكامِلِ عِلْمِه.

### تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ آيَةِ سورَةِ النَّمْلِ (87) وآيَةِ سورَةِ الزُّمَرِ (68):

دِقَّةُ البَيانِ القُرْآنيِّ في انْتِقاءِ الأَلْفاظِ المُلائِمَةِ لِسِياقاتِها

تشابَهَ قولُ اللّه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقولُه سُبْحانه: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزّمر: 68]، في ذِكْرِ النَّفخ في الصّور، وتأثُّر كلِّ مَن في السَّماوات ومَن في الأرض بهذه النَّفخة، إلّا أَنَّ آيةَ النَّمل ذُكِرَ فيها الفزَعُ، وآيَة الزُّمر ذُكِر فيها الصَّعق، وكلٌّ منهما مناسِبٌ لسياقه؛ فآيةُ النَّمل لَمّا كانت في سياق تخويفِ النّاس مِن أحوال الآخرةِ؛ ناسبَهُ ذِكْرُ الفزَع، وهو شِدَّةُ الخَوف.

بخلافِ آية الزُّمر؛ فإنَّها واردَةٌ في سياق ذِكْرِ نِهاية السَّماوات والأرض، فكان الأنسَبَ ذِكْرُ نهايةِ مَن فيهما بذِكْرِ الصَّعق، فقالَ اللّهُ تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: 68].

### تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظِيِّ بَيْنَ آيَةِ سورَةِ النَّمْلِ (87) وآيَةِ سورَةِ النَّبَأِ (18):

اخْتِلافُ آثارِ النَّفْخِ في الصّورِ

قال اللّه سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: 18]، والفرق بينَهما: أنَّ آية النَّمل وُصلت بِما قبلها، بخلاف آيةِ النَّبأ فقد فُصِلت عمّا قبلها، ثُمَّ إنَّ كلًّا من الآيتين ذَكَرَت أثَرًا مِن آثار النَّفْخِ في الصّور.

ووجهُ هذا التَّفريق: أَنَّ آية النَّمل تَقَدَّمها قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾، فلَمّا كان

المقصودُ ذِكْرَ مشهَدٍ آخرَ مِن مشاهد الآخرة يُضاف إلى ما تَقَدَّمه مِن مشاهِدَ؛ ناسبَهُ العطفُ، ثُمَّ لمّا كان ما ذُكِرَ مِن أهوالِ يومِ القيامة سببًا لفَزَعِ النّاس خوفًا ممّا توعَّد اللّهُ تعالى به المُكَذِّبين؛ ناسبَهُ ذِكْرُ الفزَعِ، فقالَ ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

بخلاف آية النَّبأ، فقد تقدَّمها قولُ اللّه تَعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: 17]، فلمّا كان المراد بيان ذلك بإبدالِ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ [النبأ: 18] مِن ﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ [النبأ: 17]؛ ناسبه فصلُ الجُمْلَةِ عمّا قبلها، ثُمَّ لمّا كان السّياق أكثر تعلُّقًا بمَن سألوا عن النَّبأ العظيم سُؤالَ إنْكارٍ وتكذيبٍ، كَما دلَّ عليه صَدْرُ السّورة؛ ناسبَهُ ذِكْرُ ما يتعلَّقُ بِهِمْ في هذا اليومِ، فقالَ تَعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: 18].

### عِلَّةُ وصْلِ جُمْلَةِ ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ بِما قَبْلَها:

بَيانُ حالٍ أُخْرى مِـنْ أَحْـوالِ الآخِرَةِ

وُصِلت جملة: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ بما قبلها، وهي قولُه تَعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ لِما بينَهُما مِنَ التَّوسُّط بين الكمالين؛ إذ الجملتان خبريَّتان، وبينَهُما مناسبَةٌ في المَعْنى؛ إذْ كلتاهما واردتان لبَيان حالٍ من أحوالِ الآخرةِ.

### دِلالَةُ لَفْظِ (كلٌّ):

لا يُسْتَثْنى مِنْ حُضورِ الحِسابِ أَحَدٌ

جاء التَّعبير في الآية الكريمة بِلَفْظِ (كلٌّ)، فقالَ اللّهُ سُبحانه: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾؛ لتدلَّ على العُموم بعدَ الاستثناءِ، فإذا كانَ في الفَزَعِ استثناءٌ؛ فإنَّ الإتيانَ للحسابِ لا يُسْتَثنى منه أحَدٌ، فلفظ (كلٌّ) تدلُّ على استغراق جميع مَن خلقَ اللّه ﷻ، مِن برِّهم وفاجِرِهم، فيأتي الأبرارُ؛ ليشهدوا سعادتَهم وفَوْزهم، ويأتي الفُجّار؛ ليشهدوا شقاوتَهم وخَسارَتهم.

### تَوْجيهُ القِراءاتِ في ﴿أَتَوْهُ﴾:

قرأ حفص حمزةُ وخلَفٌ بفَتْح التّاء وقَصْرِ الهمزةِ ﴿أَتَوْهُ﴾، وقرأ الباقون بمَدِّ الهمزة وضَمِّ التاء ﴿ءَاتُوهُ﴾[1].

لا يتخلَّف أحدٌ عن الإتيان في ذلك اليوم العظيم

فَقراءة الجمهور ﴿ءَاتُوهُ﴾ بصيغَةِ اسْم فاعلٍ مِن الإتيانِ، ويُشيرُ اسمُ الفاعل هنا إلى رُسوخ وصف الإتيانِ فيهم، فلا يتأخَّر منهم أحَدٌ، ولا يتخلَّف، وعَلى قراءة ﴿أَتَوْهُ﴾؛ فهيَ بِصيغَةِ الفِعْلِ الماضي بِمَعْنى: جاؤوه[2]، ويشير الفعلُ الماضي هنا إلى تحقُّق إتيانِهم، وأنَّه أمرٌ واقع - لا محالة - فكانَتِ القِراءتانِ جامِعَتَيْنِ بينَ رُسوخِ وصفِ الإتيانِ فيهم وتحقُّقه مِنْهُمْ.

### بَيانُ مَرْجِعِ الضَّميرِ في ﴿أَتَوْهُ﴾:

الضَّمير في ﴿أَتَوْهُ﴾ يجوزُ أن يَرْجِعَ إلى قولِه: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾، على تقدير: آتونَ فيهِ، ويجوز أن يكونَ الضَّمير راجعًا إلى اللّه ﷻ، وهو الأظهر؛ لأنَّه أقربُ مذكورٍ في قولِهِ تَعالى: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، والمرادُ الحضورُ إلى محلِّ القضاءِ[3].

حُضورُ الخَليقَةِ إلى مَحَلِّ القَضاءِ الإلَهيِّ

### دِلالَةُ اسْمِ الفاعِلِ في ﴿دَٰخِرِينَ﴾:

جاء لفظُ ﴿دَٰخِرِينَ﴾ في الآية بصيغة اسم الفاعل؛ ليدلَّ على تمكُّن الدُّخور عند إتيانِ الخلق للقضاء، فالجميعُ عنده صاغِرٌ لأمره منقادٌ طائع، لا يمتَنِع عنِ الإجابة أحَدٌ.

انْقيادُ الخَليقَةِ لِأَمْرِ اللهِ تَعالى

وفي هذا تعريضٌ بحالِ المكذِّبين في الدُّنيا، كيف صاروا إلى الصِّغار والذُّلِّ بعد أن كانوا مُسْتَكْبرين طُغاةً.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### الخَوْف والفَزَع:

الخوفُ في اللُّغة: توقُّع مكروهٍ عن علامة معلومَةٍ أو مَظْنونَةٍ، وأمّا الفزَعُ؛ فهو في اللُّغة: انْقِباضٌ ونِفارٌ واضْطِراب يَعْتَري المرءَ مِن أَمْرٍ مخيفٍ.

اخْتِصاصُ الفَزَعِ بِأَشَدِّ مَواطِنِ الخَوْفِ

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 339.
(2) مكّي، الكشف: 2/ 167 - 168.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 46.

وقد وردَ ذِكْرُ الخَوْفِ في القرآنِ الكريم مَرّاتٍ متكاثرَةً، فمِنْ ذلكَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: 38]، وتكرَّرَتْ جُمْلَة: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ اثنَتيْ عَشْرةَ مرَّةً، أولاها في سورةِ البقرَةِ (38) وآخِرُها في الأحقافِ (13)، وقدِ ارْتَبَط الخوفُ في هذه المَواضِعِ بالحُزْنِ، وذلك لِنَفْي كُلِّ ما يُسَبِّب الهَمَّ والقلق، فنَفى عَنْهُمُ الخوف، وهو توقُّع مكروهٍ في المُسْتَقْبَلِ، ونفى عنهم الحُزْنَ، وهو الغَمُّ على أمرٍ فاتَ.

كما ارتبط الخوفُ في القرآنِ الكريم بالطَّمع، كما في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: 56]، وكُلٌّ مِن الخوف والطَّمع متعلِّقانِ بالمُسْتَقْبَل، فَقَد أَمَرَ اللّهُ تَعالى العبادَ بالحَذَرِ مِن عِقابِهِ، ورَجاء رَحْمَتِه وثَوابِه.

وأمّا الفزَعُ؛ فَقَد وردَ في القُرآنِ الكريم سِتَّ مرّاتٍ، ارْتَبَطَت خَمْسَةُ مَواضِعَ بِذِكْرِ أَهْوالِ القيامة، ومِنْها آيةُ النَّمْلِ (87)، وهيَ أهوالٌ تَفوقُ ما يُعرف مِن أَهْوالِ الدُّنيا، ولا رَيْبَ أَنَّ الخَوْفَ الذي يَعْتَري النُّفوس في الآخرةِ أَشَدُّ وأَمْكَنُ في القُلوب مِن كُلِّ خَوْفٍ حاصل في الدُّنْيا.

وأمّا الموضِعُ السّادِسُ للفَزع؛ فورد في قِصَّة داود عليه السلام، في قول اللّه تعالى: ﴿۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ [ص: 21 - 22]، حيثُ رَأى داوُد عليه السلام ما لَم يَكُنْ يَتَوَقَّعُه، وحقيقةُ الفَزَع: انْفِعالٌ يَظْهَرُ منهُ اضْطِرابٌ على صاحبِه؛ لتَوَقُّع شِدَّةٍ أو مُفاجأة.

وهذهِ السّياقات القرآنيَّة لِلَفْظِ الفَزَع؛ تدُلُّ على أنَّ الفَزَعَ خاصٌّ بأشَدِّ مواطِن الخَوْفِ، وما فَوْقَ المُعْتاد والمألوف مِنَ الأحداثِ والانْفِعالاتِ المُصاحِبَةِ لها[1].

(1) محمد محمَّد داود، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، ص: 237 - 244.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»